النشاط الثقافي في الغرب

روسيا

اتجاهات الادب السوفياتي

كتب المسيو جورج دافيدوف(١) مقالاً يتحدث فيه عن الادب السوفياتي فيقول : « ان هذا الادب لا يزال يتبع الخطة التي رسمت له منذ حركةالتطهير المعروفة في عام ١٩٤٦ ، ويقوم على مراقبة تنفيذ التوجيهات في هذا الصدد رؤساء الجمعيات الادبية والنقدية المرخص لها ، وهم انفسهم يخضعون لمراقبة الرؤساء السوفيات . وينبغي للآثار الروائية والمسرحية والشعرية ان تستخدم لخير القضية الشيوعية . فدورها اذن دور دعاوة للافكار والمشاريع التي ترمي الى تثبت اركان العالم الشيوعي ونشره .

وعلى جميع المؤلفين الذين يطمعون فيان تستحق آثارهم الاحترام والتقدير والجوائز ان يأخذوا اشخاص مؤلفاتهم من الحياة الجارية ، في اثناء صراعهم من اجل بناء « عالم جديد ». وبوسع مثل هذه القيود ألا تتنافى مع الفكرة الخلاقة اذا كان المؤلفون يملكون موهبة تقديم هؤلاء الاشخاص بعيوبهم ونقائصهم . على ان النقاد السوفيات يريدون ان يكون هؤلاء الاشخاص الذين «يقومون بالحركة» من أجل تحقيق العالم الشيوعي متفوقين على الذين يعارضونها او يظلون صامتين . ويعتبر هؤلاء الجامدون آفة المراكز البناءة في الاتحاد السوفياتي ، ويهاجم النقاد احياناً بعض المؤلفين الذين يحببون مثل هؤلاء السلبيين —سياسياً— الى القراء . وهذه هي الروح التي تدفع النقاد الى ان ينوهوا بمزايا مؤلفات غوركي الرئيسيةوبانحراف بعض مسرحيات تشيكوف كـ «الاخوات الثلاث». اما رواية تريفونوف «الطلاب» Les Etudiants فنمتاز بالسحر والحيوية والنضارة وتصوير كثير من روائع مناظر موسكو .

ولكن هذا لا يمنع من ان يؤخذ على المؤلف انعدام «فريق شيوعي فعال» هو العامل الهام الذي ينبغي ان تتميز به كل رواية .

ويقود «حملة الهجوم» في هذه الرواية شخص يدعى «سرج بالافين» ، بينما يتخذ الشيوعيون موقف الدفاع ، ليحترسوا من هجماته . والذي يأخذه النقاد على المؤلف ان خير مقاطع الرواية هي التي تتعلق بـ «بالافين» ، وهو يعتبر شخصياً مغرقاً في الفردية ، ومن ثم شخصاً سلبياً . وقيمة الرواية الفنية مرتبطة بهذا الشخص وبصديقته لينوتشكا ميدوفسكايا ، فكلاهما شخص نابض بالحياة ، وهذا ما لا يمكن قوله عن سائر أبطال الرواية الذين هم لسان حال النظرية الشيوعية .

ويأخذون على تريفونوف ايضاً ان العمل الجماعي في روايته ليس دائماً قوياً ومؤثراً ، ومن وجهة نظر «الواقعية الاشتراكية» فان الرجل شديد التحرر وصفاته فردية مغرقة. ومقابل هذه الرواية يستشهدون برواية «الاجتياح La Devastation» لفادايف ، ورواية «بعيداً عن موسكو Loin de Moscou » لفاسيلي اجاييف ، وكلاهما تنعم اليوم بشعبية كبيرة .

ان للعالم السوفياتي قديسيه ومجرميه ، والمطلوب من القراء ان يضعوا كل فريق، دون ما خطأ ممكن ، في الموضع الذي يستحق، وألا يفتنوا بالرجال والنساء « الفاسدين» الذين يخلقهم المؤلفون . وهذا أمر يتعلق بالمؤلفين تعلقه بابطالهم . وقد قال قسطنطين سيمونوف ، الكاتب الروسي المعروف ، يوم شنت «الحرب الباردة» : « إن زمننا لا مجال فيه للاحلام الشعرية، وليس من المقبول ان يكسل فيه الكتاب حينتناديهم مهام عاجلة ومفيدة. وليس دورهم ان ينصرفوا «الفن للفن»، وانما ان يشاركوا بجميع قواهمفي تحقيق المشاريع وإقامة العالم الشيوعي .»

ولذلك فينبغي ألا نعجب منان يطالب النقاد الروس بان تكون القصيدة الشعرية «مزاجاً بين حياة القلب وحياة الوطن» على حد قول مايا كوفسكي. فالمطلوب ألا تختاف القصيدة عن الرواية الا بظهور شخص جديد في الخط

(١) راجع العدد ١٣٠٠ من مجلة Les Nouvelles Littéraires الفرنسية.

الجديدة وهي السياسة كما كان بالأمس، حباً عذرياً لا يجود فيه العاشق بغير اللقاء البريء الذي ينفر من «المادة» ويقتصر على الروح ! ومرة اخرى يفر الصيد الثمين مما ألقي اليه من شباك ... هذه النماذج البشرية قد نقلها توفيق الحكيم كما قانا من ساحة الحياة الى خشبة المسرح ، نقلها نقلاً واقعياً لأن نموذج البخيل قد استوحي من شخصية مصرية معروفة اشتغلت يوماً بالسياسة ، وكذلك نموذج الغانية اللعوب التي كان لها في حياة تلك الشخصية دور ملحوظ ، وكذلك النموذج الاخير لبعض رجال الاحزاب الذين كانوا يسمون الى الطفر بالثري المعروف ... نقل واقعي ولكن الفن المسرحي قد أضاف الى الواقع اشياء، حتى يلتقط المشهد الاجتماعي من زوايا متعددة تبرز من خلالها الناحية الالتزامية !

وتبقى بعد ذلك المسرحية الرابعة «دنيا الوفاء» وهي وان خلت من عنصر الالتزام الا انها لم تخل من مشكلة نفسية معقدة ، عمادها ما يقع في الحياة الزوجية من صور النفاق... زوجان يؤكد كل منها للآخر حبه «الوفي» واخلاصه « العميق » ، حتى ليكرر حديث التضحية بنفسه في سبيل صاحبه اذا تعرض لشر يمتحن فيه الوفاء ! ويقبل هذا الشر يوماً في صورة فتاة مصابة بمرض نفسي يملي عليها ان تحمل مسدساً لتقتل به أول شخص تلقاه، فاذا ما اوقعتها المصادفة النعسة في الزوجين «الوفيين» حاول كل منها ان يختبيء وراء الآخر طلباً للنجاة! ولا يكتفي بهذا بل يرمي صاحبه بكل تهمة يمكن ان تثبت للفتاة المريضة انه أحق منه بالقتل ؛ حتى اذا اطلقت الفتاة الرصاص واكتشف الزوج الاكثر «وفاء» ان المسدس محشو بمادة تدوي ولا تميت ، هتف من اعماقه في صوت يفيض بالشجن والمرارة : تزعمين انك لم تقتلي احداً يا آنسة ؟ يكفي انك قتلت سعادتنا الزوجية !

هذه هي المسرحيات الاربع التي عرضتها فرقة المسرح المصري الحديث للاستاذ الحكيم ، ومما يذكر انه قد صب حوارها في قالب اللغة العامية حتى يقترب بها من ذوق الجماهير ، ولا بد من الاعتراف بان هذا المسلك قد حقق الغاية المرجوة من تذوق النظارة «لصندوق الدنيا» وما يكمن في الحوار من لمحات نفسية وأهداف اجتماعية ... واذا كنا لم نتحدث هنا عن العمل الفني من ناحية المحاسن والمآخذ فلأننا في مقام العرض والتسجيل ولسنا في مقام النقد والتحليل !

النشاط الثقافي في الغرب

الاول : هو المؤلف نفسه مع افكاره وانطباعاته ، وانما يترتب على القصيدة شأنها في ذلك شأن الرواية،ان تاهم الحياة وتكشفها في بناء هذا العالم الجديد.

وتأييداً لهذه النظرية ، يستشهدون بالكلاسيكيين من الادباء . فقد كان بوشكين وبيالنسكي يطلبان في القصيدة وضوح الاشخاص وتفصيل الموضوع وعلى هذا فان « الراعي Le Berger » لـ « ن. رينكوف » مهم جداً ، وكذلك صديقته التي ليست هي « إلا ظلاً وراء السياج » . ففي هذه القصيدة آثار من الاهتمام الجمالي . وقد بدا استنكار هذه النزعة نافذاً وقوياً في نقد قصيدة « احب اوكرانيا » لـ «ف.سوسورا».

والواقع ان مجلة «زفيازدا» (النجمة) قد شجبت بشدة حين نشرت هذه القصيدة . والذي أخذ على مؤلفها انه لم يكن يفكر باوكرانيا القديمة ، تحت النير القيصري ، او اوكرانيا الجديدة السعيدة حيث تكثر الكولخوز والمصانع والمناجم، وإنما كان يتغنى باوكرانيا الابدية، بجبالاتها الخالدة وبلابلها فيا وراء الزمان .

على انهم لا ينتقصون من قيمة شعر سوسورا عامة ، وانما يهاجمونه هنا لأن اوكرانيا التي تغنى بها تنعزل عن سائر الجمهوريات السوفياتية بروح قوية يعدونها رجعية او متطرفة. ويذكرون في هذا الصدد ان واجب الكاتب هو ان يقوم بحملة دعاية لا تفتر للوطنية السوفياتية عامة لا للاقليمية .

★

إن الفكر الخلاق يفقد دائماً اندفاعه اذا لم يكن حراً كل الحرية في حركاته . ولئن كان من المبالغ فيه ان نؤكد أن اي أثر قيم لا يمكن أن يصدر عن فكر «موجه» ، فمن الصعب جداً ان ننكر ان الادب السوفياتي يعاني من هذه الوصاية ، وصاية الدولة عليه . فهل يكون بوسع الوسائل التي يلجأون اليها لدفع الادب السوفياتي وازدهاره ، في هذا الاطار القاسي الذي يفرضونه عليه ، أن يضاعفوا روائع الآثار الادبية، هذه الروائع التي يلاحظ النقاد ندرتها ؟

وفي جمعيات الكتاب السوفيات تقوم اليوم دعوة حارة الى تجويد «الشكل» والعناية به ؛ وهم ينصحون ، في هذا الصدد ، بمطالعة الآثار الكلاسيكية مطالعة عميقة ، في سبيل الوصول الى تعبير أدق وأبرز . وترى الكتاب يلاحقون باهتمام اخطاء الاسلوب واللغة في مناقشات مستمرة . وكثيراً ما يحللون تحليلاً مفصلاً آثاراً حديثة وينقدونها في مؤتمرات واجتماعات أدبية خاصة .

ثم ان الصحف الادبية تخصص مجالاً واسعاً لانتقادات القراء ، وتشر الصحف الاسبوعية والشهرية الكبرى رسائل ترد من مختلف البلاد السوفياتية، وهذا تجديد مبتكر جدير به أن يثير الكتاب ويلهب نشاطهم ؛ وغالباً ما تكون ملاحظات القراء عميقة وذكية .

الولايات المتحدة

لمراسل « الآداب » الخاص

كانت صناعة الكتب رابحة خلال عام ١٩٥٢ المنصرم، وكانت ثمراتها أحسن قليلاً، بالنسبة الى معظم الناشرين واصحاب المكتبات مما كانت عام ١٩٥١ ،فقد بيع من الطبعات الشعبية لبعض الروايات البوليسية —روايات أرل ستانلي غاردنر Erle Stanley Gardner وميكي سبيلين Spillane مثلاً — ما يزيد على مليون نسخة. ولكن مثل هذه الطبعات الرخيصة غير المجلدة ، والتي تباع بخمسة وعشرين سنتاً —أي ربع دولار— عجزت هذا العام عن أن تضاهي في ميدان الرواج كتاباً يعتبر منذ مدة غير قصيرة اكثر الكتب رواجاً في الولايات المتحدة.. وليس ذلك الكتاب غير الطبعة المنقحة للكتاب المقدس الحاملة اسم الملك جيمس. فقد بيع من هذه الطبعة خلال ثمانية أسابيع ليس غير مليون وستمائة الف نسخة، ثمن كل منها ستة دولارات أميركية !..

أما في ميدان القصة الفنية فكان الكتاب الفائز بقصب الرواج هو : The Caine Mutiny لهيرمن ووك Wouk ، وقد نال هذه المرتبة نفسها عام ١٩٥١ واحتفظ بها عام ١٩٥٢. أما المرتبة الثانية من مراتب الرواج فقد حظيت بها هذه السنة قصة « الكأس الفضية The Silver Chalice » لتوماس كوستين Costain .

فاذا انتقلنا إلى دنيا الأدب غير القصصي وجدنا أن الكتاب الذي نعم باكبر حظ من الرواج (باستثناء الكتاب المقدس، والنشرات الحكومية عن العناية بالطفل الخ) هو «رجل يدعى بطرس A Man Called Peter » لكاثرين مارشال، الذي نشر في أواخر سنة ١٩٥١. وجاء في المرتبة الثانية «كتاب أميركة السري » لجاك ليت Lait ، ولي مورتيمر Mortimer أما أروج الكتب الموضوعة للجيل الطالع فكان يحمل اسم « تيكس ودماه » Tex and His Toys لألزا روث ناست Nast، ويتوقع ناشروه أن يصل بيعه إلى ١،١٠٠،٠٠٠ نسخة بعد عيد الميلاد . ومن اسف أنه صدرت خلال عام ١٩٥٢ مئات من الكتب القيمة، غير هذه التي أشرنا اليها ، ولم يبع من كل منها غير بضعة آلاف من النسخ، مما أوقع في نفوس كاتبيها البارعين وكاتباتها البارعات خيبة أمل مريرة .

وكان كتاب «شاهد Witness » لتشامبرز Chambers أكثر الكتب إثارة للجدل والنقاش في العام الفائت. في حين كانت « سيرونيا ، تاكساس » Sironia, Texas للمديسون كوبر Cooper ، وهي رواية في مجلدين تعالج الحياة الجنسية في تاكساس، أكثر الكتب إثارة لعجب الناس. أما الكتاب الذي أثار أعنف عاصفة من النقد فكان كتاب أرنست هيمنغواي Hemingway الموسوم بـ « الرجل العجوز والبحر The Old Man and the Sea » .

الكتب الادبية والمدرسية القرطاسية بأنواعها

احدث مجلات الازياء

تجدونها دائماً في

مكتبة هاشم

بيروت
شارع سوريا